حقيقة العلم اللدني في الفكر الصوفي

د. عبد القادر احمد يونس*

المستخلص:

ان موضوع العلم اللدني أو الالهام والكشف الذي يهتم به الصوفية وينادون به من العلوم التي اختلف فيها العلماء والباحثون بين الإفراط والتفريط فمنهم من انكره مطلقاً ونسبه الى الافلاطونية الحديثة أو الغنوصية أو الى الشياطين وايحاءاتهم، ومن الصوفية والعلماء من ايده بشكل مطلق مثبتاً وجوده اخذاً بكل ما يأتي عن طريقه، الا ان رأى المعتدلين من الصوفية والعلماء والباحثين الذين اتخذوا المنهج الوسطي بين الافراط والتفريط، اثبتوا وجوده الا انهم قالوا بالاخذ منه مع ما يتفق مع الشريعة الاسلامية ورفض كل ما يخالفها ذلك ان في حالات الالهام التي تأتي الى المرء قد يمازجها شيء من ألاعيب الشيطان الذي يجري من ابن ادم مجرى الدم، ولذلك يجب عرضه على الشريعة، ويكونون بذلك قد اثبتوا وجود التجليات الالهية والمنح الربانية للعلوم الالهامية لمن يشاء الله عز وجل ان يعطيه منها كثمرة من ثمرات التقوى والاخلاص وتطهير القلوب والتقرب اليه عز وجل ولاوليائه واحبائه فيختصهم الله بهذا النوع من العلم في بعض الاوقات كهبة الهية ومنحة ربانية.

المقدمة:

العلم اللدني: "هو العلم الذي يتعلمه العبد من الله تعالى من غير واسطة ملك أو نبي"[(١)]، ويسمى أيضاً علم القلب" وعلم القلب هو العلم اللدني الذي لم يسطر في الطروس، ولم يحتفظ في الدروس، وانما هو تلقين من الله بغير واسطة ملك ولا سفارة رسول"[(٢)]. ومصطلح العلم اللدني مأخوذ من قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام وقد نبه الله سبحانه وتعالى اليه[(٣)] بقوله: (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً)[(٤)].

* قسم التاريخ/ كلية الاداب/ جامعة الموصل

(١) الحفني، عبد المنعم، مصطلحات الصوفية، ط١(بيروت: ١٩٨٠)، دار المسيرة، ١٨٨.

(٢) ابن عبد السلام، عزالدين عبدالعزيز، زبدة خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز ومفاتيح الكنوز، تحقيق: حسن جبر شقير، ط١(القاهرة: ٢٠٠٢)، ٢٥.

(٣) البوطي، محمد سعيد رمضان، شرح الحكم العطائية، ط١(دمشق: ٢٠٠٣)، دار العصر، ٤/٤٠٠.

(٤) الكهف: الاية: ٦٥.

ويتحقق العلم اللدني عن طريق الالهام أو الكشف أو الفيض الالهي [١]، أو الفتح الالهي[٢]، ويعرف ايضاً بالمعرفة الذوقية[٣]، وهو ثمرة من ثمرات التقوى فبالذكر والمحبة لله جل في علاه ومراقبة الانسان لنفسه اجلالاً لعظمته يطهر القلب من الشوائب والادران ومن سيطرة الاغيار عليه عند ذلك يتجلى الله على قلب المؤمن تجلي رحمة فتنسكب العلوم والمعارف فيه بدون جهد من التعلم والممارسة[٤] كمنح أو مواهب الهية[٥] وجميع ما ذكرناه يعد شيئاً واحداً أو ضرباً من المعرفة الروحية[٦]، والقلب* هو وعاء هذا العلم حيث يجمع الصوفية على ان القلب هو مصدر من مصادر المعرفة كما هو الحال عند الحواس والعقل[٧].

وقد تحدث الكثير من العلماء والباحثين عن العلم اللدني أو الالهام والكشف وسوف نستعرض آرائهم واقوالهم واحداً تلو الاخر ولنبدأ بالامام الغزالي حيث يرى الامام الغزالي ان هناك طريقين للحصول على المعرفة وهما:

١. طريق المعرفة الاستدلالية، أي طريق التعليم من خلال الدراسة وتلقي العلم بالاسلوب المعروف بين الناس.
٢. والطريق الثاني هو طريق المعرفة الكشفية أو الالهامية أو الذوقية الصوفية، فالاول طريق العامة من الناس، والثاني طريق الانبياء والاولياء والاصفياء، فقد حصل الانبياء عليهم السلام على

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد، احياء علوم الدين، ط٢(مصر: ٢٠٠٥)، دار السلام للطباعة والنشر، ٨٧٤/١، ٨٧٥.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين ابي العباس احمد عبد الحليم بن عبد السلام، مجموع الفتاوى،، ط٣(د. م: ١٤٠٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، مج٨، ج٢٣٠/١٣ ؛ ابن قيم الجوزية، شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي، ومحمود النادي، (القاهرة: ٢٠٠٤)، دار ابن الهيثم، ٢/ ١٧٩.

(٣) عفيفي، ابو العلا، التصوف الثورة الروحية الكبرى، ط١(مصر: ١٩٦٣)، دار المعارف، ٢٥٢.

(٤) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٧٤/٤، ٣٩٩.

(٥) المرجع نفسه، ٤٦٦/٤.

(٦) القرضاوي، يوسف، موقف الاسلام من الالهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقي، ط١(بيروت: ١٩٩٦)، مؤسسة الرسالة، ١٧.

* المقصود بالقلب: هو لطيفة ربانية روحية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وهي حقيقية الانسان ؛ الغزالي، احياء، ٨٥٨/١ ؛ وينظر: عفيفي، التصوف، ٢٥٤.

(٧) عفيفي، التصوف، ٢٥١ . ٢٥٣.

العلم عن طريق الوحي والاولياء والاصفياء عن طريق الالهام[١]، وهذا لا يعني عدم الاهتمام بالعلم الكسبي أو التعليم وطلب العلوم الشرعية من حديث وفقه وغيرها وانما هي الاساس في المعرفة اللدنية[٢].

وعنده ان المعرفة الالهامية تحصل في القلب وذلك عند انجلاء القلب وتطهيره وازالة الحجب والادران والشوائب والكدور عن القلب لينكشف لها اللوح المحفوظ* المنقوش فيه جميع العلوم وكل ما قضى الله به الى يوم القيامة، حيث ان تجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب مثل انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها [٣]، فهذا هو طريق الانبياء** والاولياء فقد انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور ليس عن طريق التعلم والدراسة والكتابة بل بالزهد في الدنيا وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال على الله بهمة وقطع الهمة من الاهل والمال والولد والوطن والعلم والولاية والجاه ثم يخلو المرء بنفسه في زاوية ويقتصر على اداء الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب ولا يشتت فكره بقراءة قرآن أو تفسير أو حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يكون بباله شيء سوى الله تعالى ثم يردد كلمة الله الله على الدوام مع حضور القلب ثم ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يستمر على ذلك الى ان يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه وبذلك يكون متعرضاً لنفحات رحمة الله ولا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله له من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء[٤].

---

(١) الغزالي، احياء، ٨٧٤/١ . ٨٧٥ ؛ البوطي، شرح الحكم، ٤٦٦/٥، ٤٩٩.

(٢) الغزالي، احياء، ١٢/١ وما بعدها ؛ الكردي، راجح عبد الحميد، نظرية المعرفة بين القران والفلسفة، ط٢ (٢٠٠٣)، دار الفرقان، ٢٠١.

* نحن نرى ان مسألة انكشاف اللوح المحفوظ لاحد امر صعب الحصول، الا اننا سنجد مثل هذا الكلام عند العز بن عبد السلام وعن أبن تيمية كما سنورده، والله اعلم.

(٣) الغزالي، احياء، ٨٦٩/١، ٨٧٥.

** معروف ان طريق الانبياء للحصول على العلم هو الوحي، الا ان الغزالي يذكر الانبياء هنا الى جانب الاولياء والاصفياء وذلك لان هذا النوع من العلم من جنس واحد كما نبه الى ذلك احد الباحثين والا فانه قد ذكر كما اوردنا اعلاه ان الوحي للانبياء والالهام للاولياء والاصفياء ووحي الانبياء معروف لجميع الناس. ينظر: هلال، ابراهيم، التصوف الاسلامي بين الدين والفلسفة،(القاهرة: ١٩٧٩)، دار النهضة العربية، ٨٧.

(٤) الغزالي، الاحياء، ٨٧٥/١ . ٨٧٦ ؛ ابراهيم، مجدي محمد، التصوف السني، حال الفناء بين الجنيد والغزالي، مكتبة الثقافة الدينية، ٥٩٠.

كما قال الغزالي: "والعلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس والباري، وانما كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف " [١]. ويقدم الغزالي ادلة وشواهد على صحة ما يقول، فنقول ان من وقع له شيء من الكشف ولو شيء يسير عن طريق الالهام في القلب فقد اصبح عالماً بصحة الطريق [٢]، فمن الشواهد، قوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[٣]، فيقول: ان كل حكمة تأتي الى القلب عن طريق العبادة ومن غير اكتساب بالتعلم فهو طريق الكشف والالهام، وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: " ما عندنا شيء اسره رسول الله ﷺ الينا الا من يؤتى الله تعالى عبداً فهماً في كتابه، وهذا ليس بالتعلم " [٤]، وقيل في تفسير قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[٥]، انه الفهم في كتاب الله [٦]، وكان ابو الدرداء يقول: " المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق، والله انه للحق يقذفه في قلوبهم، ويجريه على السنتهم " [٧].

وقال رسول الله ﷺ: " اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى" [٨]، واليه يشير قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)[٩]، وقال رسول الله ﷺ: " لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون، فان يك في امتي احد فانه عمر" [١٠].

---

(١) الغزالي، الرسالة اللدنية " ضمن مجموعة رسائل الامام الغزالي "، ط١(بيروت: ٢٠٠٣)، دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٣٢.

(٢) الغزالي، احياء، ٨٨٠/١.

(٣) العنكبوت: الاية: ٦٩.

(٤) الغزالي، احياء، ٨٨٠/١.

(٥) البقرة: الاية: ٢٦٩.

(٦) الغزالي، احياء، ٨٨٠/١.

(٧) المصدر نفسه، ٨٨٠/١، ٨٨١.

(٨) اخرجه الترمذي من حديث ابي سعيد ؛ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَعِيلَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ سَلَّامٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ قَالَ لِلْمُتَفَرِّسِينَ. وينظر: ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، (بيروت: د.ت) دار احياء التراث العربي، ٢٩٨/٥ ؛ وينظر ايضاً: الغزالي، احياء، ٨٨١/١.

(٩) الحجر: الاية: ٧٥.

(١٠) البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي: الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا ط٣ (بيروت: ١٩٨٧) دار ابن كثير، ١٣٤٩/٣،١٢٧٩؛ وقد اخرجه البخاري من حديث ابي هريرة ورواه مسلم

وقوله تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً)[١]، حيث ان كل علم هو من لدنه الا ان بعضها بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى علماً لدنياً بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج. أما التجارب فمنها: ما حدث لعمر بن الخطاب ﷺ اثناء خطبته حيث انكشف له امر المسلمين وان العدو قد اشرف عليهم فحذر سارية بقوله يا سارية الجبل الجبل وسمع سارية صوته وهو من الكرامات العظيمة وغيرها من التجارب[٢].

كما ان الدليل القاطع الذي لا يستطيع احد انكاره امران:

١- وهو عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا كان ذلك ممكنا في النوم فمن الممكن ان يحدث في اليقظة فالفرق بين النوم واليقظة هو ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات بل هناك من هو مستيقظ الا انه غائص ولا يسمع ولا يبصر لانشغاله بنفسه.

٢- اخبار الرسول ﷺ عن الغيب وامور في المستقبل واذا حدث ذلك للنبي فمن الممكن ان يحدث لغيره وللولي[٣].

وقد تعرض القرضاوي لاراء الامام الغزالي وقرر ان وقوع الكشف لبعض الناس امر صحيح ومتفق عليه، وان ما عرضه الامام الغزالي من الادلة مسلم به في جملته، الا انه يعود ويقول ان هذه الادلة تثبت ان الانسان المؤمن التقي الصالح المجاهد لنفسه يرزقه الله تعالى الهداية أو النور أو الحكمة أو الفهم أو الفقه أو العلم النافع ولكن لا تدل على ان يطلبها الانسان أو ان يكون همه انتظارها–وقد تأتي أو لا تأتي–ويدع الطريق المعروف الذي بينه الله تعالى وسلكه الانبياء لتحصيل المعرفة المأمونة لحقائق الغيب واحكام الشرع [٤]، فعندما كان النبي ﷺ يعبد الله في غار حراء لم يكن يريد كشفاً أو الهاماً، وينتهي الى انه يخالف ابو حامد الغزالي في اعتبار الكشف امر يطلب بل

في حديث عائشة، ويستشهد ابن تيمية بهذا الحديث ايضاً عندما يتحدث عن الالهام ؛ ونص الحديث عند مسلم: حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح حدثنا عبد الله بن وهب عن إبراهيم بن سعد عن أبيه سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي:" أنه كان يقول قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد بن الخطاب منهم " قال بن وهب تفسير محدثون ملهمون. ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣ (بيروت: ١٩٨٧)، دار احياء التراث العربي، ١٨٦٤/٤.

(١) الكهف: الاية: ٦٥.

(٢) الغزالي، احياء، ٨٨١/١.

(٣) الغزالي، احياء، ٨٨١/١، ٨٨٢.

(٤) القرضاوي، موقف الاسلام، ١٠٥ . ١٠٧.

هو امر يوهب [١]، واذا كان القرضاوي قد اكد وجود الكشف وهو هبة من الله تعالى فان الكثير من الصوفية يؤكدون ذلك ومن هؤلاء الفقيه الصوفي سلطان العلماء العز بن عبد السلام فقد قال ان هناك علوم يعطيها الله تعالى للانبياء* والاولياء بان يخلقها فيهم من غير ضرورة ولا نظر ثم يقول: " علوم الهامية يكشف بها عما في القلوب، فيرى احدهم في الغائبات ما لم تجر العادة برؤيته ويسمع بأذنه ما لم تجر العادة بسماع مثله، وكذلك شمه، وحسه، ولمسه وكذلك يدرك بقلبه علوماً متعلقة بالاكوان ... ومنهم من يرى الملائكة والشياطين والبلاد النائية، بل ينظر الى ما تحت الثرى، ... ومنهم من يرى اللوح المحفوظ ويقرأ ما فيه، وكذلك يسمع ... أصوات الملائكة والجان ويفهم احدهم منطق الطير "[٢].

ويؤيد كل من ابي يزيد البسطامي وعبد القادر الكيلاني وأبي سليمان الداراني وأبي الحارث المحاسبي وأبي حيان التوحيدي والشبلي، وغيرهم من علماء الصوفية الاعلام ان الالهام فضل من الله وهبة منه[٣]، وكذلك من العلماء والباحثين المحدثين فهناك من يرى انه من مواهب الله وكرمه وفضله ولا يأتي الا بعد تزكية النفس وطهارة القلب[٤]، ويؤيد ذلك البوطي ويقول ايضاً وبالذكر

(١) المرجع نفسه، ١٠٧ هذا مع اجلائه الكبير لأبي حامد الغزالي وقيمته العلمية حتى انه يدعوه عملاق من عمالقة الفكر وانه كان له فضل في تأصيل التصوف واسناده الى اصول اسلامية القرضاوي، الامام الغزالي بين مادحيه وناقديه (الدوحة: ١٩٨٧) مؤسسة الرسالة، ٩٥، ١٢٩، الا انه من المعروف ان كل انسان يؤخذ منه ويرد عليه الا سيدنا محمد ﷺ كما قال الامام مالك.

* لعل هذا مثل ما ذكرناه من ايراد الامام الغزالي الانبياء مع الاولياء والاصفياء في حصولهم على العلم، ينظر بعدها هامش ٤ في ص٣.

(٢) ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز، قواعد الاحكام في مصباح الانام، ط١ (مصر: ١٩٣٤)، ١٣١/١ . ١٣٢ ؛ الفاروقي، محمد امين بن عبد الهادي، حقيقة التصوف كما بينه سلطان العلماء عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام، ط١ (دمشق: ٢٠٠٣) دار الفرفور، هامش ٥١.

(٣) الكيلاني، عبد القادر، فتوح الغيب، ضبطه ووثقه، محمد سالم بواب، (دمشق: ٢٠٠٣) دار الاداب، ٤١، ٥٢ ؛ الجبوري، نضلة احمد نائل، خصائص التجربة الصوفية في الاسلام، ط١ (بغداد: ٢٠٠١) بيت الحكمة، ١٠٧، ١٤١، ١٨٢ اصل الكتاب اطروحة دكتوراه في الفلسفة بأشراف عبد الامير الاعسم.

(٤) بدوي، عبد الرحمن، تاريخ التصوف الاسلامي في البدائع حتى نهاية القرن الثاني، ط١، (بيروت: ١٩٧٥) دار القلم، ٢١ ؛ نيكولسون، في التصوف الاسلامي وتأريخه، نقله الى العربية: ابو العلا عفيفي (القاهرة: ١٩٦٩) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ٧٩ ؛ عفيفي، التصوف، ٢٧٥ ؛ جعفر، محمد كمال ابراهيم، التصوف طريقاً وتجربة ومذهبا (القاهرة: ١٩٨٠) دار المعرفة الجامعية، ٩٣، ٩٤.

والمحبة لله ومراقبتك له اجلاً لعظمته يتجلى الله على قلب المؤمن يجلي رحمة وعند ذلك تتكسب العلوم والمعارف فيه بدون جهد من التعلم والممارسة–كما اشرنا الى ذلك من قبل(١).

ولنتفحص رأي ابن خلدون حيث يؤكد ان العلم اللدني أو الالهام والكشف يأتي ثمرة مجاهد النفسه والخلوة والذكر فيقول: "... ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من امر الله ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف ان الروح اذا رجع عن الحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال الحس وقويت احوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه واعانه على ذلك الذكر فانه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وتزيد إلى أن يصير شهوداً بعد الادراك فيتعرض حينئذ لمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الالهي"(٢). وقد كان الصحابة على مثل هذه المجاهدة وكان يقع لهم الكشف الا انهم لم يقع لهم به عناية(٣).

ويتضح من كل ما تقدم ان الكشف أو الالهام ممكن ان يكون مادي وممكن ان يكون معنوي فالمعنوي مثل معرفة حقيقة معينة أو التنبؤ بشيء أو الحصول على حكم أو حكمة أو فهم في العلوم الدينية وقد يكون الكشف مادي كان يكشف لشخص ما حادثة معينة في بلاد بعيدة.

ومن الجدير بالذكر ان هناك من ينظر الى ذلك من منظور علمي حيث اثبت العلم الحديث وجود مثل هذه الظواهر ومن ذلك ما قام به العالم (ج. ب. راين) في كتابه (العقل وسطوته) وهو يحتوي على دراسات علمية تجريبية للظواهر النفسية الخارقة مثل انتقال الافكار والتنبؤ، وقدرة العقل على تسخير المادة، ووجود الروح فمثلاً اثبت وجود انتقال الافكار (التلباثي) وتعني معرفة شخص لافكار شخص اخر، واثبت ان هذه القدرة على الادراك خارج الحواس وهي ليست مادية أي روحية وكذلك اكد (الكسيس كاريل) في كتابه (الانسان ذلك المجهول) نفس النتائج التي توصل اليها سلفه راين (٤).

---

(١) شرح الحكم العطائية، ٧٤/٤.

(٢) المقدمة، (د.ت: د.م) دار الفكر للطباعة والنشر، ٣٧٢/١ ؛ عيسى، عبد القادر، حقائق عن التصوف، ط٥ (الرمادي: ١٩٩٢)، مطبعة النواعير، ٢٨٩..

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ٣٧٢/١.

(٤) الغزالي، محمد، ركائز الايمان بين العقل والقلب، ط٣ (القاهرة: ١٩٩٤) طبع المطابع الفنية ٢٦٩ . ٢٧٣ للمزيد حول ذلك انظر نفس المصدر، ٢٧٠ وما بعدها.

فكلا العالمين يرى ان في الانسان طاقة مبهمة يستطيع بها احياناً ان يدرك اشياء من المستحيل ادراكها بواسطة الحواس المعتادة أو الطرق المألوفة [١].

الامر الذي جعل البعض من الباحثين ينظر الى الكرامات المادية والمعنوية من هذه الزاوية [٢]، بيد اننا في الوقت الذي نؤمن بما يتوصل اليه العلم الحديث من حقائق الا اننا لا ننكر قدرة الله وعطائه لبعض عبادة المخلصين المقربين مثل ذلك أو ان يكشف لهم اموراً تغيب عن غيرهم.

كما ذهب بعض الباحثين الى القول ان الصوفية قد اخذوا عن الفكر اليوناني وخاصة الفكر الغنوصي* والافلاطونية** الحديثة [٣].

كما ان هناك من يقول ان مالدى الصوفية من الهام وكشف هو من ايحاءات الشياطين فقد قال احد هؤلاء الباحثين: "ولعل هذا الوحي الصوفي وهذه الكشوفات والتجليات هي ما اشار الله تعالى اليه بقوله: (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)[٤] ولعل هذا النوع من التنزل والقاء السمع من الشياطين هو ما ظنه الغزالي وحياً يحصل به سماع الريد لما سمعه موسى عليه السلام"[٥]. ونحن لا نتفق مع ما ذهب اليه دمشقية ونرى ان الالهام والكشف حقيقة موجودة وقد اشار اليها وشرح متعلقاتها الكثير من العلماء، مما سنثبته لاحقاً.

أما رأي ابن تيمية في العلم اللدني فقد قال: "واما العلم اللدني فلا ريب ان الله يفتح على قلوب اوليائه المتقين، وعباده الصالحين، بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه، ما لا يفتح به

---

(١) المرجع نفسه، ٢٧٤.

(٢) المرجع نفسه.

* الغنوصية:فلسفة صوفية واسم علم على المذاهب الباطنية غايتها معرفة الله بالحدس لا بالعقل وبالوجد لا بالاستدلال. الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، (القاهرة: د. ت)، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، ٢٩٦.

** الافلاطونية الحديثة: فلسفة تقوم على الوجدان والتجربة الذوقية الصوفية والكشف والاشراف للحصول على معرفة الله عن طريق الاتصال به فيفيض على الانسان بذلك ومؤسسها افلوطين (٢٠٥ . ٢٧٠م) وهو مصري ولد في ليقوبوليس في مصر العليا ودرس الفلسفة في الاسكندرية ثم استقر في روما. الحفني، الموسوعة الفلسفية، ٥٧، ٥٨ ؛ بدوي، عبد الرحمن، خريف الفكر اليوناني، ط٥(بيروت: ١٩٧٩)، دار القلم، ١٢٢.

(٣) دمشقية، عبد الرحمن، ابو حامد الغزالي والتصوف، ط١(الرياض: ١٩٨٦)، دار طيبة، ١٩٦.

(٤) الشعراء، الاية: ٢٢١ . ٢٢٣.

(٥) دمشقية، ابو حامد الغزالي، ١٩٦.

* اورد ابن القيم كلام الامام علي ﷺ كاملاً عندما سئل هل خصهم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس، فقال: لا والذي فلق الحب وبرأ النسمة الا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه أي ان الله يفتح له من فهم الكتاب والسنة بامر يخصه به فهذا هو العلم اللدني الحقيقي كما قال ابن القيم وسنورد هذا الكلام لاحقاً. مدارج السالكين، ١٧٩/٢.

على غيرهم، وهذا كما قال علي: الا فهماً يؤتيه الله* عبداً في كتابه" [١]، ثم يقول: " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم"[٢]، ويتضح من ذلك انه قد يفتح الله على بعض عباده فهماً في كتابه ما لا يفتح لغيره وهو الكشف العلمي أو الذي يخص العلوم الدينية.

اذن فابن تيمية لا ينكر مطلق الالهام الذي ينشأ عن الايمان والتقوى الا ان بعض الناس يظنون انه لا يعتبر باثر المجاهدة الروحية والتقوى [٣]، وقال: " القلب المعمور بالتقوى اذا رجح بمجرد رأية فهو ترجيح شرعي! قال: فمتى ما وقع عنده وحصل في قلبه ما يظن معه ان هذا الامر وهذا الكلام ارضى الله ورسوله، كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي، والذين انكروا كون الالهام ليس طريقاً الى الحقائق مطلقاً اخطأوا، فاذا اجتهد العبد في طاعة الله وتقواه كان ترجيحه لما رجح اقوى من كثير من الاقيسة الضعيفة والموهومة، والظواهر والاستصحابات الكثيرة، التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذاهب والخلاف واصول الفقه " [٤].

وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: "اقتربوا من افواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فانهم تتجلى لهم امور صادقة"، ويقول: "وهذه الامور الصادقة التي اخبر بها عمر بن الخطاب ﷺ انها تتجلى للمطيعين هي الامور التي يكشفها الله عز وجل لهم فقد ثبت ان لاولياء الله مخاطبات ومكاشفات، وافضل هؤلاء في هذه الامة بعد (ابي بكر) عمر بن الخطاب ﷺ فان خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر" [٥]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: " قد كان في الامم قبلكم محدثون، فان يكن في امتي احد فعمر "[٦]، والمحدث هو الملهم المخاطب في سره، وما قال عمر لشيء: إني لاظنه كذا وكذا الا كان كما ظن، وكانوا يرون ان السكينة تنطق على قلبه ولسانه " [٧].

كما قال: " وقد ثبت في الصحيح تعيين عمر بانه محدث في هذه الامة فاي محدث ومخاطب فرض في امة محمد ﷺ فعمر افضل منه، ومع هذا فكان عمر ﷺ يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٣٠/١٣.

(٢) المصدر نفسه، ٢٣٠/١٣.

(٣) القرضاوي، الحياة الربانية، ط١ (بيروت: ٢٠٠١)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٥٩/١.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦/٢٠ ؛ القرضاوي، الحياة الربانية، ١٥٩/١.

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦/٢٠ ؛ الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان، ط١ (بيروت: ٢٠٠٣) دار ابن حزم للطباعة والنشر، ٤٣.

(٦) البخاري، الجامع الصحيح، ١٢٧٩/٣، ١٣٤٩ ؛ مسلم، صحيح مسلم، ١٨٦٤/٤.

(٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦/٢٠.

القرآن بموافقته غير مرة، وتارة يخالفة فيرجع عمر عن ذلك، كما رجع يوم الحديبية*، لما كان قد رأى محاربة المشركين ... " [١].

ومن الضروري ان يعرض المحدث أو المهلم ما ألهم به على ما جاء به سيدنا محمد ﷺ لانه غير معصوم فقال في ذلك: "والمحدث يأخذ عن قلبه اشياء وقلبه ليس بمعصوم فيحتاج ان يعرضه على ما جاء به النبي المعصوم"[٢].

كما قال: ".. لما كان ولي الله يجوز ان يغلط لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله لئلا يكون نبياً، بل ولا يجوز لولي الله ان يعتمد على ما يُلقى اليه في قلبه الا ان يكون موافقاً للشرع وعلى ما يقع له مما يراه الهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق بل يجب عليه ان يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فان وافقه قبله وان خالفه لم يقبله وان لم يعلم اموافق هو ام مخالف، توقف فيه"[٣].

والناس في ذلك ثلاثة انواع طرفان ووسط: "فمنهم من اذا اعتقد في شخص انه ولي لله وافقه في كل ما يظن انه حدث به قلبه عن ربه، وسلم اليه جميع ما يفعله، ومنهم من اذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بمواقف للشرع اخرجه عن ولاية الله بالكلية، وان كان مجتهداً مخطئاً، وخيار الامور أوساطها وهو ان لا يجعله معصوماً ولا مأثوماً اذا كان مجتهداً أو مخطئاً فلا يتبع في كل ما يقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسوق مع اجتهاده"[٤].

ولعل هذا الايضاح الذي قدمه شيخ الاسلام ابن تيمية في غاية الاهمية ولا غنى لاحد عنه في تقييمه للتصوف والصوفية، كما يسوق ابن تيمية عند كلامه بهذا الصدد الحديث الصحيح

---

* معروف ان الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب ﷺ لم يوافقوا الرسول ﷺ اول مرة على هذا الصلح ثم اقتنعوا به لاحقاً.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١١/١٩٠ ؛ الفرقان، ٤٣.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١١/١٩٠ ؛ الفرقان، ٤٤ ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، صححه: عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، (مصر: د.ت)، دار الفاتح، ٨٥ . ٨٦.

(٣) ابن تيمية، فقه التصوف، تهذيب وتعليق: الشيخ زهير شفيق الكبي، ط١(بيروت: ١٩٩٣)، دار الفكر العربي، ١١٦.

(٤) المصدر نفسه، ١١٦.

المعروف: " لا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"(١).

كما قال ابن تيمية: " واذا كان القلب معموراً بالتقوى انجلت له الامور وانكشفت بخلاف القلب الخراب المظلم، قال حذيفة بن اليمان: ان في قلب المؤمن سراجاً يزهر، وفي الحديث الصحيح: " ان الدجال مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن قاريء وغير قاريء "، فدل على المؤمن يتبين له ما لا يتبين لغيره لاسيما في الفتن وينكشف له حال الكذاب الوضاع على الله ورسوله، فان الدجال اكذب خلق الله مع ان الله يجري على يديه اموراً هائلة ومخاريق مزلزلة، حتى ان من رآه افتتن به، فيكشفها الله للمؤمن حتى يعتقد كذبها وبطلانها " (٢).

ثم يستمر ابن تيمية في اثبات الادلة المختلفة التي تثبت الالهام والكشف فيقول: " وكثير من اهل الايمان والكشف يلقي الله في قلبه ان هذا الطعام حرام، وان هذا الرجل كافر، أوفاسق، أو ديوث، أو لوطي، أو خمار، أو مغن، أو كاذب، من غير دليل، بل بما يلقي الله في قلبه وكذلك بالعكس، يلقي في قلبه محبة لشخص، وانه من اولياء الله، وان هذا الرجل صالح، وهذا الطعام حلال، وهذا القول صدق، فهذا وامثاله لا يجوز ان يستبعد في حق اولياء الله المؤمنين المتقين" (٣).

ويقول ابن القيم انه شاهد من فراسة وكشف شيخ الاسلام ابن تيمية اموراً عجيبة وانه لو دونها فانها تحتاج الى سفراً ضخماً منها: " اخبر اصحابة بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وان جيوش المسلمين تكسر، وان دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام ... وهذا قبل ان يهم التتار بالحركة " (٤)، ثم قال: " ثم اخبر الناس والامراء سنة اثنتين وسبعين لما تحرك التتار وقصدوا

---

(١) البخاري، الجامع صحيح، ٢٣٨٤/٥. ونص الحديث هو: حدثني محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦/٢٠ ؛ للمزيد حول ذلك ينظر: المصدر نفسه، ٣٦/٢٠.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦/٢٠.

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ١٨٩/٢.

* ينظر ما ذكرناه عن الامام الغزالي والعز بن عبد السلام حول انكشاف اللوح المحفوظ لبعض اولياء الله المخلصين، ونحن بدورنا نرى ان ذلك صعب الحصول، والله اعلم.

الشام: ان الدائرة والهزيمة عليهم، وان الظفر والنصر للمسلمين واقسم على ذلك اكثر من سبعين مرة يميناً، فيقال له: قل ان شاء الله، فيقول: ان شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وسمعته يقول ذلك، قال: فلما اكثروا علي، قلت: لا تكثروا، كتب الله تعالى في اللوح* المحفوظ، انهم مهزمون في هذه الكرة، وان النصر لجيوش الاسلام، قال: واطعمت بعض الامراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم الى لقاء العدو " (١).

وقال مرة: " يدخل عليَّ اصحابي وغيرهم، فارى في وجوههم واعينهم اموراً لا اذكرها لهم، فقلت له–أوغيري–لو اخبرتهم؟ فقال: اتريدون ان اكون معرفاً كمعرف الولاة؟ " (٢).

وقال له ابن القيم يوماً: "لو عاملتنا بذلك لكان ادعى الى الاستقامة والصلاح فقال رحمه الله، لا تصبرن معي على ذلك جمعة أو قال شهراً"(٣). كما قال: " واخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه، ولم ينطق به لساني"(٤).

اما ابن القيم نفسه فانه يقول عن العلم اللدني: " والعلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة، والصدق مع الله، والاخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله ﷺ وكمال الانقياد له، فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بامر يخصه به، كما قال علي بن ابي طالب ﷺ وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: لا والذي فلق الحب وبرأ النسمة الا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه*، فهذا هو العلم اللدني الحقيقي " (٥)، ثم قال: " واما علم من اعرض عن الكتاب والسنة، ولم يتقيد بهما: فهو من لدن النفس والهوى

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ١٨٩/٢.

(٢) المصدر نفسه، ١٨٩/٢.

(٣) المصدر نفسه، ١٨٩/٢.

(٤) المصدر نفسه، ١٨٩/٢ ؛ للمزيد حول ذلك ينظر نفس المصدر، ١٨٩/٢ . ١٩٠.

* حديث صحيح في البخاري، ١١١٠/٣، ٢٥٣١/٦، ٢٥٣٤ ؛ ونص الحديث هو: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا مطرف أن عامرا حدثهم عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر.

(٥) مدارج السالكين، ١٧٩/٢ ؛ ابو الفيض المنوفي، محمود، التصوف الاسلامي الخالص، (القاهرة: د.ت)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ٣٥.

والشيطان، فهو لدني ولكن من لدن من؟ وانما يعرف كون العلم لدنياً رحمانياً: بموافقته لما جاء به الرسول ﷺ عن ربه عز وجل " (١).

ويقول: " فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني بطناوي، والمحك: هو الوحي ولا وحي بعد رسول الله ﷺ "(٢).

وينتقد ابن القيم في مواضع اخرى من كتابه من يدعي ان علمه لدني وهو ليس كذلك على وجه الحقيقة،" وقد انبثق سد العلم اللدني ورخص سعره حتى ادعت كل طائفة ان علمهم لدني وصار من تكلم في حقائق الايمان والسلوك وباب الاسماء والصفات بما يسنح له ويلقيه شيطانه في قلبه، ويزعم ان علمه لدني! فملاحدة الاتحادية وزنادقة المنتمين الى السلوك يقولون: ان علمهم لدني! وقد صنف في العلم اللدني متهكموا المتكلمين وزنادقة المتصوفين، وجهلة المتفلسفين وكل يزعم ان علمه لدني!.. " (٣).

كما تحدث ابن القيم عن الالهام للحكمة فقال: " شغلوا قلوبهم بالدنيا، ولو شغلوها بالله والدار الاخرة لجالت في معاني كلامه وآياته المشهودة ورجعت الى صاحبها بغرائب الحكم وطرف الفوائد، اذا غذى القلب بالتذكر، وسقى بالتفكر، ونقى من الدغل راى العجائب والهم الحكمة " (٤).

ومما تقدم يتضح ان ابن القيم لا ينكر وجود العلم اللدني وان منه ما هو رحماني وما هو شيطاني كما قال ويعترض على الذين يبالغون في ادعائهم بالعلم اللدني ومنهم زنادقة المتصوفين الذين حسبوا على التصوف وهم ليس من اهله.

ولنذكر الان راي يوسف القرضاوي حيث قال ان العلماء المسلمين من متكلمين واصوليين وفقهاء ومحدثين انقسموا الى ثلاث اقسام في موقفهم من الالهام ومدى حجيته أو مصدريته للمعرفة ومدى الثقة بما ياتي عن طريقه من معارف وافكار وهم:

١. موقف النفاة الرافضين للالهام.
٢. موقف المثبتين القائلين بحجية الالهام.
٣. موقف المتوسطين بين الفريقين.

---

(١) ابن القيم، المصدر نفسه، ١٧٩/٢.
(٢) المصدر نفسه، ١٧٩/٢.
(٣) المصدر نفسه، ٥٥/٢، ٥٢٦.
(٤) الفوائد، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، (القاهرة: ٢٠٠٥)، دار الحديث، ١٢٢.

الا انه يذكر لا يوجد احد من العلماء المعتبرين للامة من ينفي الالهام نفياً كلياً وبشكل مطلق "بل الرفض منصب على الاعتداد به اصلاً ودليلاً شرعياً، واعتباره حجة مستقلة، بحيث يستدل به على الحق والصواب من باب المعارف والاعتقادات وعلى مشروعية الفعل أو الترك في باب التعبدات والمعاملات"(١).

ويحدد موقفه من قضية الكشف والالهام قائلاً: " وموقفنا من قضية الكشف أو الالهام هو موقف العلماء الربانيين من دعاة الوسطية الاسلامية وهم الذين جمعوا بين النورين: نور العقل ونور القلب، نور العلم ونور الايمان، نور الفطرة ونور النبوة، واهتدوا بصريح المنقول وصريح المعقول، ووفقوا بين النصوص الجزئية والمقاصد الكلية، وردوا الفروع الى الاصول، والمتشابهات الى المحكمات، بشروطها وفي حدودها، واقاموا الوزن بالقسط ولم يخسروا الميزان، ولم يطغوا فيه، وبهذا اووا من العلم الى ركن شديد، واعتصموا من الدين بحبل متين " (٢).

ان موقف اهل التوسط والاعتدال من علماء السنة هو الذي يعبر عن وسطية المنهج الاسلامي، " فهم لا يغلقون باباً من ابواب المعرفة والوعي، فتحه الله لبعض الناس في بعض الاوقات، بجوار البابين الاخرين من ابواب المعرفة، وهما اللذان لهما صفة العموم والدوام، اعني: باب الحواس، وخصوصاً السمع والبصر، وباب العقل وقد يعبر عنه في القران الكريم بالفؤاد أو القلب " (٣).

ونخلص من ذلك الى ان العلماء المعتدلين لم يسدوا باب الالهام والكشف ونور البصيرة بل ارادوا ان يقيدوه بالاصول والضوابط لكي لا يدخل فيه الوهم والكذب والغلو فيه، فقد قام الشرعيون بوضع علم (اصول الفقه) لغرض ضبط الاستدلال فيما فيه نص وفيما لا نص فيه واسسوا بذلك علماً عظيماً لم يعرف مثله في حضارة من الحضارات وكذلك العقليون حاولوا ان يضبطوا انتاج العقل بقواعد المنطق (٤).

ثم قال: " فاذا كان الامر كذلك فموضوع الكشف الالهام يحتاج الى ضوابط لكي لا ينفتح الباب امام كل من هب ودب، وممن تخيل فخال، أو من لا يميز بين الهام المَلَك ونفث الشيطان، أو

---

(١) موقف الاسلام، ٢٠، ٢١.

(٢) القرضاوي، الحياة الربانية، ١٥٤/١.

(٣) القرضاوي، موقف الاسلام، ٢٦.

(٤) المرجع نفسه، ٢٨.

من ادعى الوصول ولم يرعى الاصول، ومن كل دجال يشتري الدينا بالدين، ويتبع سبيل المؤمنين؟! " (١).

هذا رأي الربانيين من علماء السنة " فهم لا ينكرون ان يقذف الله في قلب عبد من عباده نوراً يكشف لـه بعض المستورات والحقائق ويهديـه الـى الصـواب فـي بعض المواقف والمضـايق، بـدون اكتساب ولا استدلال، بل هبة من الله تعالى والهاماً منه " (٢).

ثـم يقـول: " ومـن آمـن بقـدرة الله تعـالى علـى كـل شـيء، وآمـن بالطاقـة الروحيـة الهائلـة فـي الانسـان، وآمـن بـأثر الايمـان والعبـادة والمجاهدة في تفجير هذه الطاقة الكامنـة، لـم يستبعد ان يقـع الكشف والالهام من الله لبعض عباده المؤمنين الصـادقين، في بعض الاحوال والاوقات تفضـلاً منـه وكرماً " (٣)، ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٤).

وكذلك من الممكن ان يكشف الله لبعض عباده حقائق العلم وانوار المعرفة في فهم كتابه أو سنة نبيه بمحض الفيض الالهي أو الفتح الرباني ما يلهث كثيرون لكي يحصلوا عليه بواسطة التعليم فلا يظفرون بما يدانيه بشرط ان يحصلوا الادوات الضرورية لفهم العلم (٥)، وهذا يذكرنا برأي ابن تيمية وابن القيم عندما سئلا عن العلم اللدني.

كما قال: " ولا نزاع كذلك في ان يوهب بعض الناس من صدق الفراسة وقوتها ما يستطيع به ان يكشف شخصية المرء يلقاه بنظرة اليه، أو كلمة يسمعها منـه، أو يقرأ افكاره، أ يعرف بعض ما يجـول بنفسـه وهـي موهبـة فطريـة لـدى بعض النـاس تقويهـا الرياضـة والمجاهدة، وتنميتهـا تقـوى الله تعالى وبالدار الاخرة، حتى ان المؤمن لتصدق فراسته، كأنما ينظر بنور الله، وينطق بلسان القدر، ويبصر الغيب من وراء ستر رقيق " (٦).

---

(١) القرضاوي، الحياة الربانية، ١٥٧/١.

(٢) المرجع نفسه، ١٥٧/١.

(٣) المرجع نفسه، ١٥٧/١.

(٤) آل عمران، الايتان: ٧٣ . ٧٤.

(٥) القرضاوي، الحياة الربانية، ١٥٨/١.

(٦) المرجع نفسه، ١٥٨/١.

ويتضح من ذلك ان راي القرضاوي مثل راي ابن تيمية وابن القيم في الاقرار في مسألة الكشف والالهام سواء كانت علمية مثل الفهم في كتاب الله، أو سنة نبيه أو مثل معرفة ما يجول في فكر أو قلب انسان أو يقرأ افكاره.

ونقف الان مع محمد سعيد رمضان البوطي ليحدثنا عن العلم اللدني الذي ابدع فيه في كتابه شرح الحكم العطائية وذلك انه قام بشرح حكم ابن عطاء السكندري الصوفي، وشرح البوطي مشحون بالحديث عن العلم اللدني الا اننا سنقتبس شذرات من ذلك، فأليك ما يقول:

لقد نبه الله سبحانه وتعالى الى هذه العلوم–الربانية–في قصة سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام التي وردت في القران الكريم لقوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً)(١)، فسيدنا موسى عليه السلام ليس ببعيد عن هذا العلم لان العلوم والمعارف التي منحها الله عن طريق الوحي جاءت الى قلبه بدون جهد أو عناء ولكن الله حجبه عن ذلك العلم اللدني الذي اعطاه للخضر عليهما السلام لكي يتسنى له دعوة الناس، اما بالنسبة للخضر ذلك العبد الصالح الذي اختصه الله بذلك العلم الهاماً منه فانما كانت علومه سراً بينه وبين الله سبحانه وتعالى كما ان صلاحيته في العمل بها خصوصية ميزه الله بها عن الناس، واذا لم تتأت لموسى عليه السلام معايشة اكثر من المدة القصيرة التي صبر عليه فيها فكيف تتأتى معايشة وسبل تفاهمه مع مختلف الناس (٢).

كما تحدث عن العلم اللدني في شرح الحكمة السادسة عشرة بعد المائة الثانية من حكم ابن عطاء السكندري والتي نصها: "الحقائق ترد في حالة التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان " (٣)، فيقول والمقصود بالحقائق هنا تلك التي يتجلى الله بها على افئدة عباده الذين جاهدوا في الله نفوسهم فطهرت من الشوائب والاهواء وصفت قلوبهم من ان تتعلق بغير الله واخلصوا لله وتابعوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ (٤).

كما قال: " ان الحقائق اذا وفدت الى العقل عن طريق التعليم فهي تأتي مجزأة مفصلة وبعد ذلك تأخذ شكلها الكلي لتجعل منها اداة تأثير على القلب ودخائل النفس " (٥)، " اما الحقائق التي

---

(١) الكهف، الاية: ٦٥.

(٢) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٤/٤٠٠.

(٣) ابن عطاء السكندري، احمد بن محمد بن عبد الكريم، الحكم العطائية، تحقيق: حازم ناظم فاضل، ط١ (بغداد: ١٩٩٤)، مطبعة الحوادث، ٥٣.

(٤) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٤/٤٦٤.

(٥) المرجع نفسه، ٤/٤٦٥.

يكرم الله بها عباده الصالحين المتميزين والتي اشرنا الى صفاتهم فهي تدخل فيما يسمى بالعلوم اللدنية بمعنى انها لا تاتي عن طريق التعليم والتلقي بل يتجلى الله سبحانه وتعالى بها على قلب احدهم نوراً يقذف به في طواياه وبتعبير آخر ان الله سبحانه وتعالى يرسل ما يشاء من الحقائق الى فؤاد من قد اصطفاه من عباده، رسالة مطوية داخل غلاف من نور، وهذا معنى انها ترد في حالة التجلي مجملة ومن المعروف ان وظيفة القلب * هي الشعور والتأثر الوجداني، اما الوعي وعملية الفهم والادراك فهي من شان العقل ووظيفته "[١]، ثم قال: " وهذه الرسالة المطوية التي تتلاقاها البصيرة يتم عرضها على العقل تفصيلياً وعلى الشريعة ومصدريها القران والسنة فاذا اتضح انها متفقة مع الشريعة ومصدريها القران والسنة أطمان الانسان الذي حدثت له الى كونها حقيقة علوية ربانية اختصه الله بها علماً لدنيا بثه-سبحانه وتعالى-في روعه بدون واسطة تعلم على نحو ما يتم عادة بين المعلم والمتعلم أو المرشد والمريد، اما اذا تبين انها مخالفة لاحكام الشرع غير متفقة مع نصوص القران أو السنة تركها وتناساها ولا يهتم بها " [٢]، وربما يسأل سائل انه اذا كان ورود هذه الحقائق العلوية بهذا الشكل خاصاً بالعلماء الصالحين الذين صفت قلوبهم عن الشوائب والادران فما هو سبب عرضها على الكتاب والسنة وضوابطهما مادام المصدر هو الله والمتلقي لهذه الحقائق اهلاً لها، أم هي بمثابة شرع خاص ميز الله به عبداً من عباده الصالحين كالشرع الذي ميز الله به الخضر والذي انكره عليه موسى عليه السلام اولاً ثم اعتذر اليه عندما علم الخصوصية التي ميزه الله بها حتى عن الرسل والانبياء؟ [٣].

والجواب ان مكانة هؤلاء الصالحين والمقربين الى الله تعالى لا تمنع وساوس الشياطين عنهم لان رسول الله ﷺ اخبرنا: " ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم " [٤]، فيكون احدهم معرضاً للنفحات الالهية والتجليات العلوية التي قد تحمل في داخلها دقائق العلوم والالهامات وفي الوقت

---

* تطلق كلمة القلب احياناً ويراد بها العقل والادراك ولا شأن لنا بهذا الاطلاق هنا.

(١) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٤/٤٦٥.

(٢) المرجع نفسه، ٤/٤٦٥، ٤٦٦.

(٣) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٤/٤٦٦، ٤٦٧.

(٤) البخاري، صحيح، ٢/٧١٧، ٣/١١٩٥، ٦/٢٦٢٣ ؛ مسلم: صحيح مسلم، ٤/١٧١٢. ونص الحديث عند البخاري هو: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي حدثنا إبراهيم بن سعد عن بن شهاب عن علي بن حسين أن النبي أتته صفية بنت ونحوها فلما رجعت انطلق معها فمر به رجلان من الأنصار فدعاهما فقال إنما هي صفية قالا سبحان الله قال إن الشيطان يجري من بن آدم مجرى الدم رواه شعيب وابن مسافر وابن أبي عتيق وإسحاق بن يحيى عن الزهري عن علي يعني بن حسين عن صفية عن النبي.

نفسه معرضاً لما قد يلتبس بها من وساوس الشياطين واباطيلهم الكاذبة ولذلك لابد من تحول الى ملكة العقل وسلطان الوعي مفصلة بعد الاجمال من عرضها على ميزان القران والسنة كي يتضح الامر[١]، والملاحظ ان راي البوطي في عرض الالهام والكشف على القران والسنة قد قاله واكده ابن تيمية وابن القيم من قبل.

وهنا سؤال مهم يطرح أو يطرحه غلاة الصوفية حول قصة الخضر مع موسى عليهما السلام عندما التقيا مع بعضهما وحدث مما ورد ذكره في القران الكريم عندما قام الخضر عليه السلام بخرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار واعترض عليه سيدنا موسى عليه السلام، الامر الذي حدى البعض بقوله بالخروج عن الشريعة في حالة حصول الكشف أو الالهام وهذا عند غلاة الصوفية وليس عند جميعهم أو المستقيمين منهم[٢]، وقد اجاب البوطي عن ذلك فقال: " واما افتراض ان يخص الله بعض عباده المقربين اليه بخصوصيات استثنائية مخالفة لعموم ما هو مقرر في القران والسنة، على غرار الخصوصيات التي متع الله بها الخضر مما يخالف الشريعة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام "[٣]، فاجاب: " فالجواب عنه ان ذلك كان سارياً في العصور التي كان يبعث كل رسول فيها الى قبيلة أو بلدته التي هو فيها أو الى قومه الذين ينتمي اليهم، أي قبل بعثة خاتم الرسل والانبياء محمد ﷺ الذي بعث الى العالم كافة الى يوم القيامة"[٤]، حيث ان شمول الرسالة التي بعث بها سيدنا محمد ﷺ الى جميع الناس في كل زمان ومكان يتعارض معارضة حادة مع صحة هذا الافتراض " فالخضر لم يكن بالضرورة واحد ممن بعث اليه سيدنا موسى بالشرع الذي انزل عليه، اما الاولياء الذين قد يكرمهم الله بالحقائق والعلوم اللدنية فمن جاءوا بعد بعثة خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ فلا تكون معارفهم لدنية الا بعد التأكد من عدم وجود أي تعارض بينها وبين ما بعث به رسول الله ﷺ من العقائد والاحكام فان ظهر أي تعارض حقيقي بينها وبينه فهي اباطيل سفلية يمخرق بها شياطين الجن على من يسعون الى تضليلهم والعبث بافكارهم " [٥]، ونحن نقول من ذا الذي يسوغ لنفسه الخروج على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بعد ان اتم الرسالة واكمل الدين عليه افضل الصلاة والسلام.

---

(١) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٤٦٧/٤.

(٢) القرضاوي، الحياة الربانية، ١٤٩/١، ١٦٥.

(٣) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٤٦٨/٤.

(٤) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٤٦٨/٤.

(٥) المرجع نفسه، ٤٦٩/٤ ؛ الغرياني، الصادق عبد الرحمن، الغلو في الدين " ظواهر من غلو التطرف وغلو التصوف "، ط٢(القاهرة: ٢٠٠٤)، دار السلام للطباعة والنشر، ٥٨.

وتحدث الشعراوي عن الخضر عليه والسلام في تفسير قوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً)[١]، فقال: أي انه ليس بواسطة الرسل فيسمونه علماً لدنياً، فهناك علم وفيوضات تأتي عن طريق الرسول ﷺ وتوجيهاته، وعلم وفيوضات تأتي من الله مباشرة لمن اختار من عباده الصالحين، كما حصل للخضر عليه السلام فقام بخرق السفينة وقتل الغلام وقد انكر موسى عليه السلام ذلك لانه لا يعلم سببها ولو عرف ذلك لبادر هو الى خرق السفينة، فعلم موسى من كيس الرسل وعلم الخضر من كيس الولاية وهما في الحقيقة لا يتعارضان [٢].

ويقرر الشاطبي ان الالهام والكشف معترف به بشرط ان لايخرم قاعدة دينية ثابتة ولا حكماً شرعياً متفق عليه، ويضرب امثلة على ذلك في كتابه الموافقات في موضوع المقاصد ومن امثلة ذلك ما ذكره عن الحكم في بعض الامور من قبل الحاكم أو القاضي قال: " لو حصلت له مكاشفة بأن هذا الماء المعين مغضوب أو نجس أو ان هذا الشاهد كاذب، أو ان المال لزيد وقد تحصل بالحجة لعمرو، فلا يجوز له الانتقال الى التيمم، ولا ترك قبول الشاهد، ولا الحكم بالمال لزيد على حال، فان هذه الظواهر قد تعين فيها بحكم الشريعة أمر اخر، فلا يتركها اعتماداً على مجرد المكاشفة أو الفراسة، كما لا يعتمد فيها على الرؤيا النومية، ولو جاز ذلك لجاز نقض الاحكام بها، وان ترتبت في الظاهر موجباتها.. " [٣]، فقد كان رسول الله ﷺ يحكم بالظاهر والله هو الذي يتولى السرائر وقد جاء في الصحيح: " قال إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار " [٤].

ولكن ما جدوى الحديث عن العلم اللدني أو الالهام والكشف فنقول:

١ـ ان ظاهرة الالهام والكشف أو العلم اللدني التي تحدث عنها علماؤنا قديماً وحديثاً ظاهرة معروفة، ولا يمكن الوقوف تجاهها موقف الصامت المتفرج موقفاً سلبياً وهي امام اعيننا، ان هذا يتنافى مع الروح العلمية المحايدة التي ينبغي ان تأخذ بعين الاعتبار مثل هذه الظواهر بالدراسة والتمحيص، اما رفضها بعجالة كما هو عند بعض الباحثين امر غير صحيح، وهكذا فقد تناولها

---

(١) الكهف، الاية: ٦٥.

(٢) تفسير الشعراوي، (مصر: د. ت)، الازهر مجمع البحوث الاسلامية، الادارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة، مج١٤/٨٩٥٣ . ٨٩٥٥.

(٣) القرضاوي، الحياة الربانية، ١٦٣/١ . ١٦٤.

(٥) البخاري، الجامع الصحيح، ٩٥٢/٢، ٢٥٥٥/٦، ٢٦٢٢ ؛ مسلم، صحيح مسلم، ١٣٣٧/٣.

علماؤنا بالدراسة وابدوا ارائهم فيها وعرضوها على كتاب الله وسنة نبيه وقرروا ما هو صحيح منها وما هو زائف وخاطيء وقد تكلم ابن تيمية في العديد من كتبه عن ذلك ومنها كتاب الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان والفتاوى.

ويشير البوطي الى اهمية الالهام الرباني قائلاً: " ان العقل هو النبراس الذي لابد منه لادراك الحقائق ومراتب المعرفة والعلم الا ان معرفة الله عز وجل وما يلحق بها من فروع المعارف الايمانية والمدركات الغيبية لا يكفي فيها الاعتماد على العقل وحده بل لابد لادراكها بشكلها السليم من نور الالهام الرباني وانما ينعكس هذا النور على البصيرة القلبية ولا يحدث ذلك الا اذا صفا القلب عن شوائب الادران وفرغ من التعلق بالاغيار ... فاذا لم يكن هذا النور في القلب لم يصل من مدركاته العقلية المتعلقة بعالم الغيب الى الطمأنينة القلبية والراحة الاعتقادية مهما تعمق لفكرة منها وفي جذورها وفلسفاتها " [١].

كما ان سائر العلماء الذين جاهدوا لتطهير قلوبهم من الشوائب والادران كانت تأتيهم كثيراً من المعارف والاسرار العلمية عن طريق تجليات ربانية تشرق على ارواحهم فقلوبهم دون بذل جهد كبير في الحصول عليها ودون سعي اليها، ما عدا عنائهم الدائم على تصفية القلب من الشوائب وحراسته بذكر الله كثيراً ومراقبته حتى تصبح قلوبهم مهبطاً للنفحات القدسية والتجليات الالهية [٢].

ويضرب مثال على ذلك فيقول ومن ذلك أبي علي بن سينا فعندما تستعصي عليه مسألة من المسائل العلمية كان يتركها ثم يقوم ويصلي ركعتين أو اكثر ثم يدعو الله جل في علاه ويستلهمه المعرفة وسبيل الخروج من الحيرة وعندما يعود لبحث المسألة حتى يكون قد ألهم قلبه وجه الحق فيها ثم تبقى بعد ذلك يقيناً في عقله "[٣].

ويستدل على ذلك بما انجزه علماؤنا من علوم ومعارف كثيرة ومتنوعة في سنوات قليلة فهم الى جانب اتباعهم الاساليب المادية العادية في حصولهم على العلم يعتمدون ايضاً على صفاء قلوبهم وجعلها وعاء لمحبة الله وتعظيمه متحررة من الاهواء والرغائب الدينوية فتصبح افئدتهم مهبطاً للكثير من البصائر العلمية والحقائق الكونية والمعارف الاسلامية [٤]، وهذا كله ينبثق من قوله تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)[٥].

---

(١) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٤/٤٠٠ . ٤٠١.

(٢) البوطي، شرح الحكم العطائية، ٤/٣٩٨.

(٣) المرجع نفسه، ٤/٣٩٨.

(٤) المرجع نفسه، ٤/٣٩٨ . ٣٩٩.

(٥) البقرة، الاية: ٢٨٢.

وحتى في حالة نظر بعض العلماء والباحثين الى الالهام والكشف وخوارق العادات من وجهة نظر علمية واعتبارها ضمن دائرة علم الباراسيكولوجي، وفي حالة افتراض مثل ذلك جدلاً، الم تكن هذه الظواهر مدعاة الانتباه والبحث العلمي الجاد من اجل الوقوف ومعرفة طاقات الانسان الروحية التي اهملت عند كثير من مفكري العصر ونظرياتهم المادية التي انكرت وجود الروح ووجود كل ما هو روحي.

نخلص من كل ما تقدم الى ان العلم اللدني أو الالهام أو الكشف حقيقة معترف بها من جميع العلماء المعتبرين مثل ابن القيم وابن تيمية والبوطي والقرضاوي وغيرهم ولا داعي لانكاره بحجة انه من ايحاءات الشياطين أو هو من البدع أو من اثار الفكر اليوناني ونظرياته وغيره ولكن يجب ان نشير الا انه من غير الصحيح الغلو فيه واعتبار كل ما يأتي عن طريقه من معارف صحيح ومعصوم لانه قد يختلط فيه شيء من الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما يجب ضبطه بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ بمعنى ان يؤخذ منه ما يتفق معهما ويترك ما يتعارض معهما لانه لا عصمة لولي ولا مقرب وانما العصمة لرسول الله ﷺ ولكتاب الله وسنة نبيه وقد اثبتنا ذلك من خلال استعراض ارآء العلماء والباحثين في ثنايا بحثنا، والله الموفق لما يحبه ويرضاه.

The reality of inspiration science in Sufi thought

Dr. Abdel-Qader Ahmed Younis

:Abstract

The topic of religious knowledge or inspiration and revelation to which Sufism is concerned and proclaimed by the sciences in which scholars and researchers differed between excess and negligence. He comes from his path, unless he sees the moderates from Sufis, scholars and researchers who have taken the intermediate approach between excess and negligence. They have proven its existence, but they said taking it from him in accordance with what is consistent with Islamic law and rejecting everything that contradicts it. That in cases of inspiration that comes to one may be mixed with something from The tricks of the devil that runs from Ibn Adam the bloodstream, and therefore it must be presented to the law, and by this they have proven the existence of divine manifestations and divine grants for the inspirational sciences for whom God Almighty will give him from them as a fruit of piety and sincerity and purification of hearts and drawing closer to him Almighty and his loyal and beloved so God specializes them With this kind of knowledge at times like a divine gift and a divine grant.